الفصل السابع

لماذا لا تنتصر الديمقراطية أبداً في العالم كله؟

الصحيفة - أقوى السموم الذي يعطي أكبر الأرباح
ماكسيميليان فولوشين

إذا كنت تتكلم وحدك دائماً ستكون دائماً على حق.
أونوريد بيالزاك

إن النقود مزعجة بشكل مخيف لأنها ضرورية للجميع: للمناضلين من أجل الحرية، والمدافعين عن الحقوق، والصحفيين، وحتى للقضاة والمحامين.. هذه الحقيقة المأساوية تنقض شاعرية الطمأنينة. يحدث أن ترى في التلفزة عالماً في السياسة طيب المظهر أو مناضلاً عنيداً من أجل حقوقنا. يتكلم بشكل حسن ومقنع يخفي كل المساوئ. وعبثاً يفعل، ويثني بحرارة على كل المحاسن. ويتسلل إلى الرأس سؤال خائن: ولكن من أين يحصل هذا الشخص الفائق الاحترام على النقود؟ أليست حماسته وقوته الظاهرة مشروطة باضطرار مبتذل للحصول على أوراق نقدية حقيرة؟ وعلى الفور يخبو نجم المناضل وتختفي الحالة حول رأسه. "لا تُصلح النقود ظلم الطبيعة. بل تعمقه" - كما قال يوماً الكاتب ليونيد أندرييف.

النقود حقاً تفسد كل شيء.

كم العيش سهل ولذيذ في عالم مفهوم. وكل شيء فيه منظم ومرتب، كل شيء فيه مهيأ ومحضر.

في هذا العالم قوة الخير- الغرب. توجد حتى إمبراطورية بحالها للخير- هي الولايات المتحدة. لدى هذه الدولة، المعنية حصراً بحقوق الإنسان في العالم كله، الكثير الكثير من الدول الصديقة. كلهم مهذبون، ذوو نوايا سياسية طيبة. وأكثر ما يتمنونه أن يعيش البشر في الأرض بسلام ورخاء وسعادة.

ولذلك يتعين على إمبراطورية الخير وأصدقائها أن تقصف أولئك الذين لا يتمنون أن يعيشوا بسلام ورخاء وسعادة. وهذا فقط من أجل أن يصبحوا طيبين ويكفوا عن كونهم رديئين. ويقبلوا العيش في هذا العالم بسلام ورخاء وسعادة.

كل شيء واضح وبسيط في العالم المفهوم. لا لزوم للتفكير ولا للتحليل. ولكن كيف نميز الطيبين عن الرديئين؟ لكي لا تظهر أية تعقيدات تظهر التلفزة غير المرتبطة بأحد أولئك الرديئين وتسميهم مقرفين. تكتب منهم صحافة حرة، وتتحدث إذاعات لا تخضع لأحد ومجلات لا يحولها أحد... لا توجد مشاكل عند القاطن في الغرب في تحديد السيئين. سيظهرون لهم كل شيء ويشرحون كل شيء. وقد اخترعوا معياراً جيداً: في الدول السيئة لا توجد ديمقراطية، أو أنها قليلة، أو كثيرة ولكن ليست كافية. وبما أن هذه الدول سيئة فالإجابة على سؤال، من يرتكب كل هذه الفظائع في كوكبنا؛ تأتي تلقائياً. إنها الدول السيئة[1] التي تقترف كل هذه الجرائم. ليس لهذه الدول همّ إلا التفكير في إعاقة العالم الحر السعيد عن العيش في دعة ودفء.

ولكن النماذج المأخوذة من كتب وروايات الشرق عن الأشرار لا تناسب تماماً الوقائع المعاصرة. عندئذٍ وكأنما بإيعاز تظهر في الصحف والتلفزات طبعات جديدة مثل الدول المارقة. أول ما يتبادر لذهني عندما أسمع هذا المصطلح أنه شيء من التوراة. أين كانت هذه الدول؟ في أية جنة؟ وأية تفاحة أكلت؟ لا شيء مفهوم مطلقاً- وهذا لا يشملني وحدي (أنا مؤلف هذا الكتاب) وإنما يشمل السياسيين المحنكين كالسياسيين الروس. وهذا ما يذهل الغربيين أي الذين اخترعوا هذا المصطلح وأطلقوه في التداول. 27 حزيران 2007 على هواء المحطة الإذاعية "صدى موسكو" تحادث الأمين العام لحلف الناتو ياب دي هوب زغيفر وعضو مجلس أمن روسيا رئيس مجلس الفيدرالية سيرغي ميرونوف. تحدّثا عن مشكلة كوسوفو،

[1] هل لفت انتباهكم كيف يزرعون الفكرة المسبقة السلبية عن روسيا في المواطن الغربي بإلحاح واستمرار؟ في الأفلام الهوليودية كل القتلة - روس، رواد الفضاء - سكارى. الرؤساء - مستبدون أو معتوهون. لا يوجد فيلم واحد يظهروننا فيه بإيجابية أو حتى بشكل محايد هل هذا صدفة؟ في مسلسل "أموات مثلي" يقتل البطلة الرئيسة مقعد مرحاض يسقط من السماء من محطة الفضاء الروسية "مير". يجري غسيل الأدمغة هذا منذ الطفولة.

توسع الناتو. نشر الدرع الصاروخي في أوروبا، عن اقتراح بوتين للاستثمار المشترك لمحطة رادار غابالين الموجودة في أذربيدجان.

زغيفر: الأمر الوحيد الذي نختلف فيه (الناتو وروسيا). هو أننا نعتبر أن الخطر يأتي من دول مارقة يمكن أن تصنع تكنولوجيا نووية وصاروخية...

ميرونوف: ومن هدد أن هنالك دول مارقة؟ ومن منا يحدد أن الدولة - مارقة. وأي الدول - ليست مارقة هل يمكن أن تقول لي؟

زغيفر: هنالك تهديد، وهناك دول يوجه هذا التهديد إليها. واقتراحكم بالاستثمار المشترك لمحطة غابالين يدل على أنكم تعتبرون هذا التهديد واقعياً. نحن نرى ما يجري في كوريا الشمالية ونراقب تطور التقنية الصاروخية. ولكنني أريد أن توضحوا لي، هل يوجد في روسيا إحساس بأن هذا خطير، علي أن آخذ هذا الإحساس بعين الاعتبار. ولكن لم يقل لي أحد حتى الآن أين تكمن خطورة نصب عشرة صواريخ اعتراضية غير نووية في بولونيا[1]؟

لا تلتئم المحادثة وكان من يتحدثان أعمى وأصم. فيرونوف يطرح سؤالاً محدداً ولا جواب. يتجنب رئيس الناتو الإجابة وأفضل طريقة للهروب من الجواب في هذه الحالة (وهذا ما يأخذه السياسيون والخطباء بالحسبان) - بدلاً من الإجابة. يطرح سؤال على الحدث. هذه الخدعة بالذات قام بها زغيفر. لماذا لا يريد أمين عام حلف الناتو أن يجيب على هذا السؤال البسيط؟ السؤال المفتاحي: كيف تحددون الأعداء. كيف تلاحظون التهديد، أيها السيد رئيس الحلف العسكري، إذا كنتم تزمعون أن تبعدوا خطر صواريخ الدول المارقة غير الموجودة في الطبيعة عند حدودنا بصواريخكم؟

إنه ذاته لا يعرف الجواب. إذا لا يمكنه القول: "أنا ورفاقي" أحدد المارقين. هم أولئك الذين لا يروقون لي لأنهم لا يرقصون على أنغامي وكما لا يمكنه القول: "لا أعرف" فلو كان هنالك جواب لأطلعنا عليه مع رئيس مجلس الفيدرالية الروسية، ولما خشي سياسيونا من تلك الصواريخ.

---

[1] /8398.html.http://www.day.az/print/news/world

ويستمر في التدفق من صفحات جرائدهم ومن شاشات تلفزيوناتهم التنديد والتشهير هؤلاء الأشرار الذين يقفون حجر عثرة في طريق التطور والتقدم. فلا بد إذن من قصفهم باستمرار حتى يتحول الاستبداديون الأشرار بطريقة سحرية إلى أخيار ديمقراطيين طيبين. وعندما تنتصر ديمقراطية جيدة في آخر دولة سيئة. عندئذٍ سيكون بانتظار البشرية عصر ذهبي.

سوف تنتصر الديمقراطية في العالم كله - تعبير ملته الأذن وتستمر الصحف والتلفزة المنادة به. دون أن تفكر في حقيقة ماثلة للعيان. وهي أنه لا يمكن أن يعيش 6-7 مليار إنسان- بدنياً بكل بساطة - وفق المعايير المرتفعة للمستهلك الغربي المعاصر. لا يتحمل الكوكب ذلك، ولا يملك موارد تكفي لكي يستبدل كل سكان الكوكب سياراتهم مرة كل 3 سنوات ومرة كل 3 أشهر هواتفهم الخليوية.

إذن، تنتصر الديمقراطية في كل مكان، ولكن لا يمكن أن يكون مستوى المعيشة متساوياً في كل مكان. عندئذٍ يصبح واضحاً أن مستوى المعيشة لا يتعلق بالنظام الاجتماعي أبداً. ستكون الديمقراطية لدى الجميع أما الحياة الطيبة ستكون فقط عند من يسيطر على حقول النفط والغاز وغيرها من الموارد الطبيعية. وهذا ما يمكن ملاحظته منذ الآن. توجد دول كثيرة يعترف العالم "المتحضر" بأنها ديمقراطية. في إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية. وإما أنها لا تملك موارد طبيعية، أو تسيطر على مواردها دولة أخرى. لذلك لا يدخل سكان هذه البلدان بما يسمى "المليار الذهبي". الديمقراطية موجودة لكن الازدهار ما زال في الطريق إلا أن هذه الأمثلة ما زالت قليلة. ويمكن إهمالها أو تفسيرها بتعقيد الصراع مع الشر العالمي.

سوف يتبين أن الادعاء باقتران الحياة الرغيدة بتعدد الأحزاب السياسية غير واقعي وكاذب. عندما تتحقق الديمقراطية في كل مكان.

ظلت جماعات من المنظرين السياسيين والمناضلين المأجورين من أجل حريات الآخرين تؤكد لمئات الملايين من البشر أن لا طريق آخر للازدهار غير طريق انتصار الديمقراطية. وها هي قد انتصرت ولكن الحياة الطيبة ظلت في أمريكا وبريطانيا واليابان والحياة السيئة - في موزامبيق، فييتنام وكولومبيا ماذا يقولون الآن وكيف يفسرون هذه الغرابة؟

بالطبع لن يقول أي منظر سياسي عالمي على الملأ أن الملك عار. يحاول أحد إخراجه إلى الشارع. سيقول أن جلالته مشغول جداً ولذلك لا يظهر إلى الجمهور وهو يكافح بكل كيانه من أجل الديمقراطية ولا وقت لديه...

نستنتج: **لا يمكن أن تنتصر الديمقراطية في العالم كله. بل لا يجب أن تنتصر في كل العالم بأي حال من الأحوال!.**

لو حدث وانتصرت الديمقراطية سيصبح واضحاً للجميع أنها لم تكن أبداً هدفاً للولايات المتحدة وأصدقائها، وإنما هي وسيلة للإخضاع وتنظيم حياة رغيدة لنفسها على حساب بقية العالم. لا شيء أسوأ من انتصار الديمقراطية في العالم كله بالنسبة للغرب. لذلك سيقوم الغرب، الذي يدعي سروره بها، بكل ما يمكنه حتى لا يحدث ذلك في المستقبل المنظور. لكي تبقى في العالم "قوى ظلامية" تضع عقبات على طريق انتقال البشرية كلها إلى الديمقراطية الشاملة.

ستبقى هناك حركة دائمة إلى ديمقراطية مزعومة تؤمن الهيمنة الدائمة على الكوكب للأنكلوساكسون وأتباعهم. وتعطيهم مستوى معيشة مرتفع دائماً.

جميل ومشرف أن تناضل طوال الحياة من أجل انتصار الديمقراطية، وأن تقبض راتباً بالعملة الصعبة، وبعد يوم العمل المضني، المفعم بهذا النضال. أن تتنزه في شوارع بروكسل الجميلة الهادئة أو تشوي اللحم في ضواحي لوس أنجلوس. أقل من ذلك جمالاً وشرفاً أن تكون في عداد البشر الرواد في الزمن المعاصر، أن تعيش في "مملكة الظلام". وأن تتمشى على وحل موسكو، أن تذهب للمقابلة في القنصلية الأمريكية، حيث يسلمونك جائزة، شهادة وتكريم من كل الأنواع.

وإذا انتصرت الحرية في العالم كله، ماذا يفعل جيش كامل من "المدافعين عن الحقوق"؟ إنهم لا يحسنون صنع شيء إلا إدانة القوى الظلامية والأنظمة الشمولية فإذا لم يبق لا هذه ولا تلك فكيف يجنون قوت يومهم؟ ماذا سيفعل الصحافيون الليبراليون؟ من يستفيد من خدماتهم؟ من سيقدم لهم الجوائز على مقالات الإدانة الجريئة؟ ومن سيدينون إذا كان الجميع مؤيدين متحمسين للقيم الإنسانية العامة وللإنسانية؟ ماذا ستزاول هذه القطعان من المستشارين الأوروبيين، وحشود المختلفين بالتفكير؟ فالجميع سيصبحون مفكرين أيضاً بشكل مغاير مثلهم.

في كل الأحوال، الانتصار التام للديمقراطية - كارثة لكل "الديمقراطيين".

وطالما يكافح العالم من أجل الديمقراطية، سيكونون هم من يقيم كل ما يحدث في الكوكب. المناضلون من أجل الحرية هم من يميز الأخيار من الأشرار، والحب من الزيوان. هم حصراً من يقرر من يجب أن يقصف ويسمى مارقاً، ومن يكافأ ويرفع إلى صف الديمقراطي العظيم. ولا يهم في هذه الحال ماذا يجري على أرض الواقع. المهم تقييم ما يجري فقد أهرق ساكاتشفيلي دماءً كثيرة في أوسيتيا الجنوبية وقتل أعداداً كبيرة من الأبرياء. فمن هو؟ إنه رئيس دولة ديمقراطية مستقلة، اقترف للأسف، خطأ لن يقدمه أحد للمحاكمة أبداً. لأن ذلك الدب العاشق لربطات العنق لم يقرر بنفسه فجأة أن يقاتل في القفقاس. لقد دفعوه لذلك، وهذا يعني أنهم سوف يغطونه بعد أن ينفذ الأمر. ولا ينتظر ذلك الوغد، الذي سفك دماء أطفال أوسيتيا سوى الاستقالة، التقاعد، أو عمل هادئ في رصيد النضال من أجل شيء جيد ما، إلقاء المحاضرات على طلاب أكثر الجامعات حرية.

وها هو رئيس بيلاروسيا الكسندر لوكاشينكو لا تسميه "الصحافة الحرة" إلا بالدكتاتور. لماذا؟ لأن الانتخابات التي أجراها لا تعجبهم - إذن فهو ديكتاتور دعونا من الانتخابات. كم طفلاً قتل؟ لم يقتل أحداً. ما هذا التناقض؟ القاتل خير، غير القاتل - شرير. لا يجب أن ندهش: كل شيء يرتبط بمعايير التقييم وكل فعاليات التقييم موجودة في أيدي جهة واحدة - في أيدي الغرب.

انظروا. من يقرر، كيف تجري الأمور مع الحرية في العالم كله؟ كل المنظمات الاجتماعية أين توجد مكاتبها الرئيسة؟ كلها هناك (في الغرب).

"العفو الدولية Amnesty International" - منظمة غير حكومية. تناضل من أجل حقوق الإنسان في العالم كله. أسست في بريطانيا في عام 1961، وهناك يتوضع مقر قيادتها، فروعها تنتشر في 56 بلداً وعدد أعضائها أكثر من مليون. معظمهم - متطوعون يعملون من أجل الفكرة، الأقلية - مأجورون. في مقر القيادة وحده حوالي 500 شخص. تعد المنظمة كل عام تقريراً سنوياً عن حقوق الإنسان في العالم. وهذا هو هدف وجودها. ولا تتحدث القيادة للمتطوعين السذج المتحمسين عن

هذا الهدف. تعدد في التقرير كل دول العالم تقريباً، ولكن الأشرار الأساسيون فيها هم خصوم أمريكا الجيوسياسيون وأصدقاؤهم. وضع حقوق الإنسان في كل دولة تجرأت على الوقوف في وجه أمريكا يتراجع عاماً بعد عام. هذا الوضع مخيف في الصين، فنزويلا، وإيران وقريب من الكارثي في روسيا، بيلاروسيا وسوريا. وهو طبيعي تماماً في العراق الحر، في أوكرانيا وفي جورجيا ناهيك عن أمريكا أو بريطانيا.

من يمول نشاط هذه المنظمة؟ من أين لها المال؟ سيجيبون - عن التبرعات ولكن من يدفع للمقاتلين في الشيشان. وللوهابيين في داغستان. فملايين الدولارات التطوعية تجري كالنهر لتمويل أعمال التخريب ضد روسيا. من يخصص لهؤلاء الفتيان من "منظمة العفو" طوعاً عشرات الملايين؟ هل هم المتصدقون؟

من يمول "**الشفافية الدولية - Transparency International**"؟ هل هي منظمة دولية غير حكومية على الإطلاق. هل تمارس عملاً فائق الأهمية لكل قاطن في الأرض؟ هل تنقذ الأطفال من الجوع؟ تخرج الفتيات الصغيرات في السن من العبودية الجنسية من براثن المافيا؟ تشتري الدواء لمن ينازع من الإيدز؟ علام تنفق أموال تبلغ مئات الملايين جناها أصحابها بالعرق والدم ولا يبخلون بها؟

على الكفاح ضد الفساد. لا مهمة أهم منها عند البشرية. ومن أجل ذلك يتقاضون رواتب عالية.

يكافحون عن طريق "تشكيل عقيدة مناهضة للفساد، ورعي حقوقي للمواطنين، جعل "الشفافية" مؤسساتية، تجنب الفساد من خلال تأمين فعالية آليات مكافحة الفساد".

لا شيء مفهوم هنا. والأمر الأهم مختلف تماماً. لا يبخلون بأية نقود ولكن ليس أبداً "لمكافحة الفساد". بل لتشكيل قائمة الفساد[1] في العالم. هذه القائمة - هي احتكار الرأي العام حول دول بأكملها. هي تشكيل رأي شعوب بشعوب أخرى وهذا هو في الجوهر هو تشكيل الواقع. سابقاً قسموا البشر حسب لون بشرتهم وبشكل جمجمتهم، والآن - حسب كمية الرشاوى والأحزاب في دولها.

[1] "Corruption Perceptions Index".

نرى مرة أخرى في الجداول "المستقلة" أن خصوم أمريكا والغرب يبدون بصورة قبيحة جداً. هذا هو بالضبط العمل فائق الأهمية الذي تمارسه منظمة الشفافية العالمية - المنظمة التي أسسها رجل بسيط جعل الفساد حياته لا تطاق. من هو ذلك الدونكيشوت؟ إنه المدير السابق لبنك عالمي بيتر آيغين.

قد تكون هذه هي الحقيقة المرة؟ وعلينا أن نوافق على ما يصرخ به وبكل النغمات الليبراليون في آذاننا: أننا من نعيش في روسيا وكل أصدقائنا في الكوكب- أشرار مشوهون؟ ولكن لا تتعجلوا بقبول ذلك التشخيص. إنه كاذب. حتى الرفيق ستالين قال بحكمة، أنه لا يهم كيف يصوتون، المهم كيف يحصون الأصوات. وهؤلاء الفتية من "الشفافية" يحصون بشكل صحيح ولا يتقاضون النقود بدون عمل: "في جدول تصنيف الفساد تقع روسيا مع هندوراس وزمبابوي بدرجة واحدة". ولا يمكن كشف كذبهم وتزويرهم لا يمكن لمس مادة دراستهم باليد ولا قياسها بالأجهزة. مستوى الفساد ودرجة المحافظة على حقوق الإنسان هي رغم أهميتها أشياء تجريدية. يقيسونها "... على أساس استطلاعات الرأي الذي يقوم به متعهدون، سياسيون، صحافيون، محللون وغيرهم. يعبر في هذه الاستطلاعات عن الرأي فيما يخص مستوى الفساد في هذه الدولة أو تلك وفق مدرج من عشر درجات حيث الدرجة صفر تطابق أعلى مستوى من الفساد"[1].

مباراة تحدث على الملعب السياسي العالمي. الخصوم يدفع بعضهم بعضاً بالأرجل، يمزقون بعضهم بالأسنان، يكسرون عظام وظهور بعضهم. كل شيء كما يحدث دائماً، مباراة كرة قدم عادية في الملعب السياسي. هنا لم يلعب أحد بطريقة مغايرة. إلا أن الحكم لسبب ما يرى مخالفات جهة واحدة. البطاقات وضربات الجزاء تحدد دائماً باتجاه مرمى واحد. ويجيب على كل الأسئلة بصرامة: أنا الحكم، أنا أرى أفضل.

من يريد الربح في كرة القدم السياسية - فليضع رجله حكماً. هذا واضح. من أين تأتي "الشفافية" بالنقود؟ ادخلوا إلى موقعهم[2]. يقترح عليكم إدخال رقم

---

1. http://www.globalrus.ru/print_this/77976/.
2. http://www.transparency.org.

بطاقة الائتمان للتبرع لقضية مكافحة الفساد النبيلة. إذا أردت المساعدة اقرأ مرة أخرى مبادئ كفاحهم، وستفقد الرغبة بالمساعدة.

القول بأن كل المنظمات غير الحكومية تعيش على تبرعات الناس البسطاء - مضحك كالقول بأن لينين وتروتسكي قاموا بالثورة بتمويل من اشتراكات الحزبيين، نابليون حارب أوروبا كلها بأموال فقراء باريس الحفاة، وهتلر وصل إلى موسكو والقاهرة بهدايا ربات البيوت الألمانيات. ويكمن الاستمرار بهذه القائمة طويلاً.

حقوق الإنسان Human Rights Watch (HRW)[1] كما يجب أن يفهم من التسمية، تتابع هذه المنظمة حقوق الإنسان في العالم كله. لها مكاتب في 10 بلدان من العالم. العاملون فيها أكثر من 180 ألف شخص، ميزانيتها السنوية - 21 مليون دولار. وهم ليسوا في حال من الأحوال متبرعين أغنياء بنظارات. هم أيضاً منفذو سياسة محددة، موجهة ضدنا وإياك: عزيزي القارئ، إن لم تصدق تذكر 8 آب 2008 (08.08.08) الحرب في أوسيتيا الجنوبية - القتلى - حوالي ألفين. ويرى المناضلون من أجل حقوق الإنسان (ذوي العيون الكبيرة) لوحة مغايرة تماماً. "ممثلو منظمة الدفاع عن حقوق الإنسان الذين كانوا في منطقة النزاع بين جورجيا وأوسيتيا الجنوبية يؤكدون أن الأرقام الرسمية المعطاة عن القتلى مبالغ فيها كثيراً"[2]. كذب هؤلاء دون خوف من الله، بحيث قال الدكتور المعروف روشال أنه يريد أن ينظر في أعين ممثلي هذه المنظمة، الذين لا يعرف من أين حصلوا على هذه المعطيات، أن عدد القتلى في أوسيتيا الجنوبية 40 شخصاً فقط[3].

إننا نعيش في عالم تحدد فيه الحقيقة من مقال في صحيفة أو مقطع تلفزيوني. إذا لم يوجد هذا المقطع- لم يحدث شيء. لم تكتب الصحف- لم يكن شيء. تصور (لا سمح الله) أن هناك من قتلك وأطفالك، والمدافعون عن حقوقك المسجلون لا يلاحظون شيئاً. لا يرون أو يقولون كما في مشهد للمونولوجيست المعروف

1- تعني بالإنكليزية "مراقب حقوق الإنسان".

2- http://www.grani.ru/politics/russia/m.139909.html.

3- http://www.utro.ru/articles/2008/08/21/761602.html.

أركادي رايكين: "إنه مسالم ولا داعي للقلق. إلا أنه يذبح شخصين، ويعقب ذلك الصمت". بما أن معيار التقييم بأيديهم فقط، يعني أنك لم تقتل. خُيل إليك.

هل تعرف السلطة عندنا من يكون كل هؤلاء "المستقلين" و"غير الحكوميين" من المدافعين عن حقوقنا وحرياتنا؟ إنها تعرف حتماً. من هنا أخبار تشبه التالي: "لم يعط المدير التنفيذي لمنظمة حقوق الإنسان الدولية كينيتي روتي تأشيرة دخول إلى روسيا"[1]. قد تخاف سلطتنا الإدانة المستقلة؟ كلا لا تخاف، وإنما تعرف بالضبط. ذلك الشخص الطيب، البعيد عن الوقائع السياسية الدكتور روشال قد يدهش بصدق من "غرائب" مواقف المدافعين عن حقوق الإنسان إبان الأحداث في أوسيتيا. أما السياسيون المحترفون لاتخدعهم الأوهام، ولذلك يرفضون إعطاء السيد روتي فيزا (تأشيرة دخول).

إذا بحثتم ستجدون الكثير من الأخبار اللافتة:

"أبعدت فنزويلا اثنين من منظمة الدفاع عن حقوق الإنسان"[2].

يمكن كتابة كثير من الأمور اللافتة والمسلية عن "منظمة حقوق الإنسان"[3]. عيونهم ذات تمييز مهمش وقصيرة النظر عند اللزوم.

المدافعون عن الحقوق، الذين جعلوا الكفاح من أجل المثل النبيلة مهنتهم، يسمون بهذا الاسم المحترم خطأً بكل معنى الكلمة. لأنهم لا يدافعون عن أية حقوق. وإنما هم ثوار عاديون جداً فقط تختلف طرائقهم اليوم عن طرائق أسلافهم. الإيسيريين والبلاشفة ومتطوعي الشعب. الذين قصفوا بالقنابل ونظموا التمردات المسلحة مدفوعين برغبة عارمة في تدمير بلدهم الأم "سجن الشعوب". وهؤلاء المدافعون الجدد يكرهون بلادهم بدرجة لا تقل عن أولئك القدامى... ويفعلون كل ما في وسعهم لتنهار بلادهم مرة أخرى: يكتبون، يحتشدون، ينادون، يحللون، يوصون يدينون يثيرون الانتباه، يضطربون. بالطبع يوجد بينهم مثاليون أيضاً لا يفهمون ببساطة كيف ولماذا يستخدمون حبهم للشعارات الجميلة غير القابلة

---

[1] http:www.izbrannoe.ru/27521.html.

[2] http://www.army.lv/?s=699&id=13567.

[3] حدث هذا في 19 أيلول 2008، عن الأسباب المحتملة، الفصل 12.

للتحقيق. قد يستحق هؤلاء الشفقة - وهم الأغلبية الساحقة. قلة منهم يعرفون لماذا، أو الأصح "مقابل أي أجر"، يعملون مدافعين عن الحقوق.

لكي يقدموا حجة لتمزيق يوغوسلافيا إلى أجزاء والتمرن على هدم دولة متعددة القوميات صغيرة (في البداية)، محبو الحقيقة من هيومن رايتس ووتش أول من روى "الحقيقة" عن وحشية الصرب إبان الحرب في يوغوسلافيا. في 1 آب 1993 نشرت المنظمة "تقريراً" عن جريمة قتل 260 أسيراً كرواتياً زعموا أن عسكريين يوغوسلاف، ارتكبوها (20 تشرين الثاني 1991).. منظمة حقوق الإنسان بالذات بادرت إلى المطالبة في عام 1992 بإنشاء ما يسمى "محكمة" لقادة الدول "غير المطيعة"، وبالدرجة الأولى يوغسلافيا والجمهورية الصربية- كاراديتش وميلوشيفيتش[1]. بمخالفة نظام الأمم المتحدة أنشئت تلك المحكمة الدولية في شباط 1993 حول يوغسلافيا "السابقة". هناك حكموا وأدانوا فقط الصرب. الكروات والبوسنيين لا يحاكمونهم أو يبرؤونهم، تذكرون المدعية العامة الشهيرة كارل أديل بونتي. نشرت كتاباً. تروي فيه أن مئات الصرب قتلوا على يد الألبان للمتاجرة بأعضائهم ولا توجد هناك محكمة ولا مدافعون عن الحقوق؟ لم يعرفوا ولم يروا؟ ولو أن الصرب ذبحوا الألبان للاحظوا ذلك فوراً...

يجب أن نفهم، أن كل محبي الحقيقة هؤلاء يصنعون، ويصورون في الغرب (يعني وفي العالم) صوت المجتمع المضطرب، ويعطون الحجة لأعمال استخدام القوة، يشرعنون القصف والتدخل. عشية العدوان على العراق ينشرون وثائق قديمة عن جرائم صدام منذ عشر سنوات، قبل قصف بلغراد يملؤون الصحف "بالفظائع" الصربية وكثير منها مفترى لا صحة لها. عندما يلزم الأمر لا تكتفي هيومن رايتس بإعطاء الحجة، بل وتطالب "باتخاذ إجراءات". في بياناتها ومناشداتها لرئيس أمريكا والكونغرس فيها تطالب بفرض عقوبات سياسية، اقتصادية، ديبلوماسية، بوليسية وحتى عسكرية لدولة أجنبية: يوغسلافيا، إندونيسيا، ماكيدونيا، روسيا[2].

---

[1] ru/human rights watch.htm.http://rusref.ru/human

[2] RightsWatch. htm.http://rusref.nm.ru/Human

من الهدف الرئيس للنقد؟ من الذين يضعونها تحت المجهر؟ طبعاً نحن الروس. خلال سبع سنوات - من 1994 حتى 2001 - أمدت هيومن رايتس 172 تقريراً بخصوص مخالفة حقوق الإنسان في دول - شظايا الاتحاد السوفيتي. 117 تقريراً منها يخص الفيدرالية الروسية. للمقارنة لم يعد أي تقرير خلال تلك السنوات السبع عن أوكرانيا. أمر مدهش: فما الذي يزعج سكان أوكرانيا إذن؟ لماذا يأتي طلاب وسكان أوكرانيا الغربية إلى الميدان إذا كان كل شيء "كالعسل"؟ هناك احتمالان فقط: إما أن "الثورة البرتقالية" قامت حصراً بتحريض وتمويل وتنظيم المخابرات الغربية، أو أن المدافعين عن الحقوق غضوا الطرف عن كثير من مخالفات حقوق الإنسان. في كل الأحوال هذا وضع غريب جداً إن لم نقل أكثر من ذلك. بشكل مشابه يصيب هيومن رايتس العمى في دول البلطيق فلم تقدم أي تقرير بخصوص نقض حقوق السكان الروس في لاتفيا وإستونيا!

لا ينتقد محبو الحرية أتباع أمريكا. وهذا لا يمس أوروبا وحدها. تشكل السعودية الحليف الأثمن لأمريكا في منطقة الخليج الإستراتيجية الغنية بالنفط. بالنسبة لأمريكا السعوديون- الذراع الرئيس للتأثير على أسعار النفط. بواسطة السعودية دفنت أمريكا الاتحاد السوفيتي خلال ست سنوات من بيريسترويكا غورباتشوف بخفض الأسعار على الكربوهيدرات عدة مرات[1]. بواسطة هذه الدولة العربية بالذات يستمر اليوم الضغط على سعر الذهب الأسود. تعارض السعودية مع نيجيريا باستمرار خفض إنتاج النفط، الذي يمكن أن يؤدي إلى ارتفاع أسعاره. يتصرف هذا التصرف الغريب بالنسبة لبائع النفط أيضاً العراق "الحر" و"الديمقراطي" الواقع تحت الاحتلال الأمريكي. إذ توقع حكومته العميلة أية اتفاقية وتدعم أي قرار يحتاجه أسيادها الأمريكيون.

وها هي "هيومن رايتس ورتش" تتابع باهتمام مشكلة حقوق الإنسان في المنطقة في السعودية نظام قاس من القرون الوسطى عملياً. هنا يقطعون رؤوس ويشنقون المعارضين ومثلي الجنسية غير عابئين بشيء. ما لم تفعله فينزويلا وبيلاروسيا أبداً، لكن تشافيز ولوكاشينكو - دكتاتوران، أما ملك السعودية

[1] للتفصيل انظر: ستاريكوف. ابحث عن النفط. СПБ: Питр, 2009.

بالنسبة للعالم كله - ديمقراطي عظيم. على هذه الصورة ترى "هيومن رايتس" أيضاً غير القابلة للرشوة. في الفترة ذاتها التي تمتد سبع سنوات (1994-2001) أعدت ثمانية تقارير فقط عن مخالفة حقوق الإنسان في السعودية.

يمكن الاستمرار طويلاً في الكتابة عن تلك المنظمات وفي كل مكان نرى ذات المؤشرات للاحتجاج المتطرف والرأي المسبق. لماذا يتمسك كل المدافعين عن حقوق الإنسان في العالم (وخصوصاً في روسيا) بوجهة نظر الولايات المتحدة. ولا يجب أن يدهشكم ذلك- إنهم يسمون أنفسهم "مدافعين عن الحقوق". وهم يدافعون عن حق أمريكا، والأدق حق النظام الاحتياطي الفيدرالي الذي ابتلع أمريكا، حق "الآلة الطابعة" في طباعة الدولارات دون توقف وفرض سيطرتها في العالم كله.

ولكن ألا تنتقد هذه المنظمات أمريكا؟ بالطبع تنتقد.

نشرت منظمة "العفو الدولية" تقريراً يدين أعمال الناتو ضد يوغسلافيا في العام الماضي بصفته يخالف معايير القانون الدولي. في عمليات مفردة ارتكب فيها جرائم حرب. حسب توكيدات معدي التقرير بعدم اهتمامه بحياة المدنيين في يوغسلافيا"[1].

إنهم يتحدثون عن الذي حدث خلال قصف يوغسلافيا الذي استمر 78 يوماً على مدار الساعة في عام 1999 طائرات القوات الجوية الأمريكية أي الناتو قصفت عدة مرات أرتال النازحين الألبان الذين جاؤوا لحمايتهم. على سبيل المثال، 14 نيسان 1999 حوالي الساعة 13:30 على طريق جاكوفيتسا - بريزرين بالقرب من قرى ماداناي ونيي تعرضت قافلة من النازحين المدنيين الألبان للقصف ثلاث مرات. قصفوها جيئة وذهاباً لمدة ساعتين. نساء وأطفال وكهول كانوا عائدين إلى بيوتهم في السيارات وعلى الجرارات وعربات الخيل. وليس في الحافلات هذا يعني أن الناس بالنسبة للطيارين كانوا كأنهم على راحة الكف ويصعب جداً الخلط بينهم وبين الجنود. كما يصعب الخلط والالتباس بين الجرار الزراعي والناقلة المصفحة، وبين عربة الخيل والدبابة. في منتصف يوم صحو ثلاث غارات، ساعتان من القصف. في النتيجة- جثث متفحمة...

[1] http://www.svoboda.org/archive/crisis/kosovo/0600/ll.060900-1.asp.

ألم يروا، ألم يلاحظوا الخطأ؟ كانت ردة فعل "المدافعين عن الحقوق" بأن الواقعة قد ثبتت. ضمت في التقرير، نشرت وهذا كل شيء.

قيادة الناتو. اعتذرت. انتهى. استوفى الحادث حقوقه والآن كل شيء على ما يرام: كان ذلك مجرد خطأ. والمخطئون اعتذروا لعدم الكتابة؟

روى رئيس يوغسلافيا سلويودان ميلوشيفيتش أثناء محاكمته في لاهاي، حول هذه الجرائم أموراً فظيعة. كلامه مهم جداً وبشكل خاص. لأن رئيس البلد الممزق إلى أشلاء لم يخرج حياً من السجون الأوروبية غير المنحازة سياسياً[1].

"لقد أطلقوا عليهم النار لأنهم عادوا إلى قريتهم. رغم إرادة المعتدي، الذي أشاع عبر وسائل الإعلام كذبة هروب الألبان من الجيش والبوليس الصربيين. كان على الجميع مغادرة القرى. ولم يجرؤ أحد على العودة، أثناء العدوان كانوا يلقون إضافة إلى القنابل قصاصات ورقية تدعو الأهالي إلى النزوح. بالأسلوب ذاته عمل جيش تحرير كوسوفو الإرهابي- الذي كان يقتل أرباب الأسر الذين لم يصغوا لدعوات الهروب من منازلهم وقراهم. كان الإرهابيون يطالبون الأهالي بالنزوح. هذا دليل آخر على المؤامرة بين قوات الناتو وهذا التنظيم الإرهابي الذي استخدم لزعزعة يوغسلافيا".

لا بد من حجة للتدخل، إذا لم يكن الألبان يهربون، يعني لا وجود "لكارثة إنسانية" ولا يمكن إدخال قوات إلى أراضي دولة مستقلة.

لنقرأ اقتباساً آخر من مرافعة سلوبودان ميلوشيفيتش.

"وفي 13 أيار 1999 بعد شهر تماماً من العدوان السابق- تدمير قافلة من النازحين الألبان- ارتكبت مرة أخرى جريمة جماعية. أثناء قصف قافلة النازحين الألبان سجلت مكالمة طيار مع مركز قيادته. وقد بثها التلفزيون الروسي- الطيار يخبر أن هذه ليست قافلة عسكرية وأنه يرى جرارات، يرى فلاحين، يرى سكاناً

1- بدأت المحاكمة 12 شباط 2002 في "آذار 2006 وجد ميلوشيفيتش ميتاً في زنزانة سجن محكمة لاهاي. سبب الموت المعلن رسمياً احتشاء العضلة القلبية. لقد قتل بالسم على الأرجح لأنهم لم يتمكنوا خلال 4 سنوات من إدانته وإنهاء المحاكمة. عدا عن كل ما سواه، ميلوشيفيتش - رئيس دولة مستقلة لم تخسر الحرب شكلياً يحاكم خارج دولته. ماذا يبقى لديهم إذ لا يمكنهم إطلاق سراحه ولم ينجحوا في إدانته.

مدنيين ولكنه يتلقى جواب قيادته- نفذ الأمر! ويوجه ضربة صاروخية إلى القافلة... التي كان فيها 500-600 شخص عائدين إلى منازلهم في قرية كوريشا. هكذا إذن، بعد شهرين من الحرب كانوا ما يزالون يعودون إلى منازلهم، رغم أنكم تؤكدون أن "القوات الصربية" تطردهم. ولكن الناتو قصفهم لأنهم عادوا. قتل أثناء ذلك خمسون شخصاً ومات كثيرون بعد القصف متأثرين بجراحهم هذا مثال ماثل للعيان مثال فظيع من معاناة البشر باسم مخطط. عمل وفقه المعتدي. لكي يبرر جرائمه المقترفة في يوغسلافيا. أرجوكم أن تظهروا صور هذه الجريمة ضد النازحين الألبان في 13 أيار 1999. الأجساد المتفحمة رفاة الضحايا، الجرارات المتدهورة انظروا إلى الطفل القتيل. إنه واحد من ستة وعشرين طفلاً. قتلوا في هذا القصف.! لا يمكن تصور رسالة أكثر إرعاباً... إلى النائب العام، أظن أن هذا ممل. أرى أنه يتثاءب... يستحيل إرسال رسالة أفظع للألبان العائدين إلى قراهم، أنه ممنوع عليهم أن يعودوا. من يعود يتعرض للنار. سيدفع رأسه ثمن عدم امتثاله. يجب عليهم أن يرحلوا عن كوسوفو، عليهم أن يسوغوا التأكيد بأن الكل يهربون من "القوات الصربية"[1].

هل سمعتم عن اتهامات ضد الطيار الذي قصف هؤلاء التعساء؟ ضد القادة الذين أصدروا الأمر الإجرامي؟ هل رأيتم في التلفزة وجوه "المدافعين عن الحقوق" وقد شوهها الغضب النبيل وهم يلحون في طلب العدالة؟

"محكمة لاهاي الدولية لجرائم الحرب في يوغسلافيا السابقة أجرت أيضاً تحقيقات خاصة لأفعال الناتو. لم يجد محققو المحكمة في هذه التحقيقات مقومات الجريمة"[2].

لم يحدث شيء. لم يدينوا أحداً في هذه "المحكمة السياسية" لا يدينون العدو بل يدينون ممثلي الجهة المهزومة. لا يدينون المنتصرين والغرب- هو المنتصر.

1- لاهاي 13 شباط 2002 http:// www.snd-su.ru/cgi-bin/rg.pl?pararm=div2&page =4&type=1274&what=1001.

2 -1 .asp.http://www.svoboda.org/archive/crisis/kosovo/0600/ll.060900

"وصف اللورد روبرتسون، الأمين العام لحلف الناتو اتهامات "العفو الدولية" بأنها تفتقر إلى الدليل، وقال أن حلف شمال الأطلسي كان في قصفه يوغسلافيا ملتزماً بإطار القانون الدولي، بما فيها قوانين شن العمليات القتالية. ومع ذلك استند قرار مدعي عام محكمة لاهاي القريب العهد كارل ديل بونتي عدم رفع قضية ضد الناتو"[1].

نحن أطلقنا إشارة التحذير، ولا يعنينا شيء آخر. لقد قصف الناتو دولة مستقلة دون تفويض من الأمم المتحدة، مخالفاً بذلك المعايير الدولية. أما ممثل "هيومن رايتس ووتش" خلال مؤتمر صحفي كان موضوعياً للغاية: "منظمة العفو الدولية" لا تصنع موضع الشك ولا تدين القيام بالعملية كلياً، كما لا تدين القرار بتوجيه ضربات جوية ضد يوغسلافيا. بل يبحث في حالات مفردة لمخالفة القانون الدولي"[2].

لا نشك بحقكم في القتل. ولكن أن تفعلوا ذلك بشكل إنساني.

يكتبون عن سجن غوانتانامو. حيث يحبس الناس منذ 7 سنين دون محاكمة. ليس المهم إثارة المشكلة فحسب، وإنما إعطاء تقييم لها واستخلاص النتائج ليس للموقوفين وضع أسرى الحرب لا تسري عليهم اتفاقية جنيف لعام 1949. يعذبونهم ليس للمختطفين والمنقولين إلى كوبا[3] أي توصيف قانوني حتى الآن لم يحدد لهم توصيف حتى الآن. يحدث هذا في أمريكا أي في "قلعة الديمقراطية". جريمة واضحة المعالم. ولا يقترح المدافعون عن الحقوق فرض حظر ضد أمريكا للمخالفة الفجة لحقوق الإنسان، ولا يطلبون إدخال دعاة السلام إلى غوانتانامو وتكساس. ما يعتبر في روسيا وفنزويلا جريمة مخيفة، في أمريكا سيكون خطأ. والإمبراطورية تبقى إمبراطورية الخير.

بالمقابل كم من الحماس والأحاديث عن أن باراك أوباما أمر بإغلاق سجن غوانتانامو. ولكن ماذا يغير؟ الناس مسجونون سبع سنين ويعذبون. والآن يحتمل أن

---

[1] المرجع ذاته.

[2] 1-060900//ll.http://www.svoboda.org/archive/crisis/kosoro/0600.asp.

[3] تقع القاعدة الأمريكية غوانتانامو في الأراضي الكوبية. استؤجرت قبل استلام كاسترو للسلطة- الاتفاق قيد التطبيق والالتزام. والقاعدة تعمل.

يغلق السجن وهذا كل شيء ولن يدينوا المذنبين بالخروج على القانون. ولكن تعالوا نكن مبدئيين ولا نستخدم معايير مزدوجة للتاريخ والسياسة. طالما ينهي إغلاق سجون غوانتانامو الذنب أمام كل الذين عانوا من دون ذنب. عندئذٍ تصبح إعادة الاعتبار لخروشوف وكأنها تنهي ذنب القيادة السوفيتية في الاضطهاد غير المبرر لسلفه. ألم تنظروا إلى المشكلة من هذه الزاوية؟

هل يطالب أحد من المدافعين عن الحقوق بمحاكمة جورج بوش؟ فهناك الكثير من الحقائق المعروفة للجميع تصلح مادة للتحقيق القضائي مع الميستر بوش. مثلاً احتلال العراق الذي كان حجته التأكيد بأن صدام حسين يملك سلاح تدمير شامل ومستعد لاستخدامه ضد الغرب. دخلوا البلد ونبشوه نبشاً. فلم يجدوا أية أسلحة. حتى لم يتسن لهم أن يدخلوه معهم للحفاظ على ماء الوجه. لقد شنقوا صدام حسين، وما الذي سيحصل لبوش؟ سيتقاعد؟ على هذا لو أن هتلر قال أن في بولونيا في 1939 وفي روسيا 1941 توجد أسلحة نووية والسلافيون مستعدون لاستخدامه. لكان تصرفه صحيحاً إذا هاجمهما؟ التصرفان متشابهان. العواقب متشابهة - أما التقييمان فمتعاكسان تماماً. هذا الاختلاف في التقييم يسمى الدعاية (البروباغاندا).

قد يقول قائل: لا تروق لكم تقييمات هذه المنظمات، أتيحوا منظمتكم الخاصة وقيموا بأنفسكم، ناضلوا كما يحلو لكم! الاقتراح معقول: إلا أن هناك "لكن" واحدة: لن يعطيكم أحد في الغرب منبراً. الصحافة تابعة لهم. المقابلة الصحفية- معهم. تعلن تقاريرهم هم فقط. والإجابة على أسئلتهم هم وليس لكم فيها أي نفوذ. وفي المقاطع التلفزيونية سيكونون هم فقط. أما أنتم فناضلوا وناضلوا، أهلاً وسهلاً. فأنتم أحرار لديكم الحرية ولدينا الحرية أيضاً. الحرية في عدم إظهاركم أو النشر لكم.

لكي يسمعوكم في الشارع - تحتاجون لبوق أو مكبر صوت. في المجتمع المعاصر - وسائل الإعلام الجماهيرية - هي كلها تقريباً في الغرب حرة ومستقلة. لقد رأينا ثمن هذه الاستقلالية في آب 2008 كل القنوات بصوت واحد كانت تظهر صواريخ "غراد" الجورجية تطلق على سخينفالي وكانوا يقولون أن الروس يرمون

على غوري كل الصحافة الجدية شرحت وجهة نظر واحدة للأحداث. حيث هاجمت روسيا الكبرى جورجيا الصغيرة.

أيعقل أن يخطئ الجميع معاً؟ الاحتمال ضئيل. خصوصاً إذا كان الجميع أحرار في دراسة الوقائع، ومستقلين في الاستنتاجات ويمكنهم إظهار ما يعتقدونه ضرورياً. هل قالوا الحقيقة ولم يخطئوا؟ كلا، فلم يكن ينقضي شهران حتى صارت حقيقة "بدء" الجورجيين لتلك الحرب ومقتل الكثير من الأوسيتيين لا يجادل فيها أحد. ربما لم يكن لديهم معلومات غيرها؟ ببساطة لم يشاؤوا أن يمتلكوها. في تلك الأيام كان يخيل أن القنوات الروسية ووسائل الإعلام الغربية تروي عن حربين مختلفتين بهذا الشكل المذهل اختلف كل ما كانوا يقولونه من الشاشة. فلو كانت "CNN" و"Sky News" موجودة في 22 حزيران 1941 لكانتا بثتا نقلاً مباشراً من مكان الأحداث وأخبرتا المجتمع الكوني بأن القوات السوفيتية في الصباح الباكر تحت وابل من نيران المدفعية وهدير القاذفات اقتحمت حدود ألمانيا.

قد يتساءل أحدهم ألا توجد لديهم حرية الكلمة في الغرب، لأن الجميع يتحدث بالكذب ذاته؟

لا حرية كلمة هناك. وعموماً ولا في أي مكان. وأخاف أن أخيب أمل القارئ- يستحيل أن توجد بالمطلق. تتميز السياسة العالمية بالكثير من العلامات الفارقة الدقيقة وطريقها فائق التعرج، لا يمكن للسلطة في أي بلد أن تسمح بأن يقوم أحد ما، مهما كان الدافع نبيلاً، بعرض مقطع أو كتابة مقالة، تشطب مرة واحدة عشرات السنين من لعبة فائقة الدقة لدبلوماسييها وجواسيسها. لقد فهم الغرب قوة وسائل الإعلام قبل روسيا بكثير. ولذلك أمكن في بداية القرن العشرين للصحف أن تعبر عن وجهات نظر مختلفة، تشتم الاستبداد أم تثني عليه. أما "هناك" فقد كانوا دائماً يتحدثون عن وجهة نظر واحدة ذات خيارات قليلة العدد، كما في القصة حول الرجل العملاق "غوليفر": نكسر البيضة من الطرف المدبب أم من المفلطح. على هذا الموضوع تجري أكثر النقاشات حدة في الغرب، أفضل العقول تقدم حججها ودلائلها. لا يهدأ الجدل على صفحات الجرائد. أما السؤال الأهم - هل يجب أن نكسر البيضة أم لا؟ - لا يناقشه أحد.

قد نسمع في كثير من الأحيان، أن السلطة الروسية الحديثة وضعت كل وسائل الإعلام تحت الرقابة. هكذا تتصرف أي سلطة قوية. أفعال سلطاتنا تكرر في أدق التفاصيل ما فعله الغرب منذ أمد بعيد. هناك كل وسائل الإعلام منذ زمن طويل في أيدي أمينة، لذلك تقوم كآلة عند اللزوم بتقديم هراء فارغ أو كذب مفضوح. يسيطر مركز واحد على كل وسائل الإعلام الأساسية في الغرب ويوجهها. هذا ما يفسر عمى وصمم وسائل الإعلام الغربية إبان أحداث أوسيتيا الجنوبية. صدر الإيعاز- كيف يغطونها- وهكذا غطوها. كذبوا ببراعة وإتقان أظهروا ساكاشفيلي فقط، أما السياسيين الروس- فلا. ناهيك عن الأوسيتيين وفي تشرين الأول على قناة BBC بث ريبورتاج صحفي بريطاني استطاع بعد شهرين أن يصل إلى الحقيقة: جورجيا بدأت الحرب أولاً، قتل في أوسيتيا سكان مدنيون. أيعقل أن هذا يحتاج كل هذا الوقت؟ لا طبعاً، ولكن صدر إيعاز يفتح الحقيقة رويداً رويداً، وتغيير اللهجات قليلاً. إشارة تخفيف حدة الموقف من الأحداث الأوسيتية كانت محددة جداً. في أحاديث صحفية لمجلات أمريكية وأوروبية روى بوتين وميدفيديف عما حصل في الواقع في أوسيتيا الجنوبية. لا يمكن أن يخرج رئيس دولة أجنبية على إعلام دولة ما، ما لم يكن قد تم التوصل إلى اتفاق مسبق بالقنوات الديبلوماسية. وواضح تماماً أن الرئيس ورئيس الوزراء سوف يُسألان عن الأحداث في أوسيتيا. وبديهي أيضاً بماذا يجيبان. وبعد ظهورهما فقط بكلام الحقيقة في هواء وسائل الإعلام. فجأة كتب وصور اللقاءات الإعلامية أكثر نشطاء القلم "استقلالية" و"حرية".

لاحظ الغرب جرائم ساكاشفيلي ليس لأنه كان مخطئاً قبل ذلك بل لأن الهجوم الإعلامي المكثف لوسائل الإعلام الروسية قد أتى بثماره. لم يعد ممكناً نفي ما هو ماثل للعيان. وللفنان فاليري غيرغييف فضل كبير في ذلك، إذ قدم حفلة في سخينفالي المدمرة.

لماذا تخطئ وسائل الإعلام الغربية دائماً باتجاه واحد؟ هذا ليس خطأً بريئاً البتة. وإنما يعول على وجود المقاطع اللازمة في التلفزة والصور الصحيحة في الصحافة بأن تمنح الثقة لساكاشفيلي، كي يحسم المسألة الأوسيتية بسرعة

خاطفة. ولا يهم ما الذي يحصل للبشر وكم منهم يقتل! إذا كان على شاشات العالم شيء مختلف كلياً. هناك يجب أن يكون ضحايا الانفصاليين الأوسيتيين، الذين يتحدثون عن وحشية مفتراة. هناك يجب أن تكون الدبابات الجورجية تنهال عليها الزهور. عجائز تبكي والمراسل يقول أنها دموع الفرح بالتحرير، وليست دموع الحزن على الأقارب القتلى. لا وجود لأي حطام أبنية ولا لأي جثث. قدوم الديمقراطية الظافر وذروته- تجمع لسكان سخينفالي مع الرقصات والأغاني (المصورة في أية مدينة جورجية أخرى). رئيس الجمهورية المتمردة إدوارد كوكويتي- مقيد اليدين تحت حراسة البوليس الجورجي. جوقة غناء حول صور ميشيكو الشاب الحازم. المجد له- جورجيا موحدة من جديد! كل شيء حسب الأصول المعتمدة: انتصر الأخيار انهزم الأشرار. ولن يعرف أحد ما حصل في الواقع.

في آب 2008 عرف العالم الحقيقة. هب أنه ليس كل العالم عرف كل الحقيقة وليس فوراً. نأمل أن هذه نهاية مأساة الشعب الأوسيتي. بداية المأساة نفسها لا أحد يعرفها حتى عندنا. قد تكون قبل تفكك الاتحاد السوفيتي رسمياً، حتى قبل التمرد، شتاء وربيع 1991 كان الناس في سخينفالي يقتلون بالعشرات وبالمئات، أطلق زفياد جامساخورديا، الذي أصبح رئيساً لجورجيا أعداداً كبيرة من المجرمين من السجون. أصدر عفواً عنهم ومنحهم فوراً رتباً بوليسية وفق مبدأ- الحكم الثقيل يوافق رتبة أعلى. اختار الأوغاد أغنى البيوت، دخلوها، وضعوا كل الأسرة من الكهول حتى الرضع فوق الساقية وذبحوهم جميعاً[1] من رقابهم بعد ذلك يحملون متاع البيت في السيارات ويأخذوه إلى جورجيا[2].

لماذا تذكرنا هذه اللوحات المرعبة؟ ليس فقط فيما يخص أحداث آب 2008. في الاتحاد السوفيتي لم تعمل منظمات الدفاع عن الحقوق. لم يسمح لها بالدخول. لذلك كان الدور الرئيس في تغطية الأحداث المدافعون السوفييت عن الحقوق "في شتاء وربيع 1991 في أوسيتيا الجنوبية والمناطق المجاورة عملت مجموعة مراقبين من مركز "ميموريال" للدفاع عن الحقوق. إذا حكمنا وفق معلومات موقعها

[1] قتلوا بوحشية حتى أطفال عمرهم سنة واحدة.- لكي لا يبقى من يأخذ بالثأر.

[2] يمكن قراءة تفاصيل مرعبة لتلك الأحداث في كتاب: ستوكالو سخينفالي في النار.

الرسمي- ديميتري ليونوف، الكسندر سوكولوف، الكسندر تشيركاسوف"[1].
كان صديقي الكاتب سيرغي ستوكالو في ذلك الوقت ضابطاً في الجيش. رأى بعينيه في سخينفالي جثثاً مقطوعة الرقاب وكانت كثيرة العدد. ولكن لتثبيت واقعة القتل من قبل مركز "ميموريال" للدفاع عن الحقوق، طلبوا شهادة الوفاة. هل هذا معقول؟ إنه ازدراء استفزازي. من قتل أولئك الأشخاص مجرمون بلباس البوليس الجورجي، والسلطات الجورجية ذاتها هي التي تصدر شهادة الوفاة. لم يتفكك الاتحاد السوفيتي بعد نيسان 1991 إلا أن شهادة الوفاة تعطى باللغة الجورجية فقط. وعليها العلم الذي قتل تحته المجرمون بلباس رسمي وبغيره سكان أوسيتيا المدنيين.

لم يذهب الأوسيتيون للحصول على الشهادة. أصدروا شهادات مؤقتة على ورقة عادية مختومة بخاتم رسمي. ولم تؤخذ هذه الشهادات بالحسبان كلام بسيط- لا توجد ورقة رسمية بشعار- يعني لم يقتل أحد. ذروة ذلك كانت حادثة، عندما جر ضابط مظلي أحد ممثلي "ميموريال" بالقوة، لشدة استيائه من الموقف، إلى فناء بيت ألقيت فيه جثث وحشره وجهاً لوجه مع الجثث. كان المظلي ضخماً فكسر عن غير قصد يد المدافع عن الحقوق. فاشتكى ذاك إلى القيادة- عوقب الضابط بجدية[2]. رغم أن المناضل من أجل الحقوق رأى القتلى، لم يتضمن تقرير "ميموريال" وقائع قتل وحشية، يمكنكم قراءة ذلك بأنفسكم والتأكد من ذلك: http://www.memo.ru/hotpoints/old90.htm. وبعد ذلك اطرحوا على أنفسكم سؤالاً لماذا؟ والأصح ما هي الغاية؟

إن الصحف والتلفزة سلاح رهيب ولا يمكن أن يكون خارج السيطرة. إذا لم تضع قفلاً على مستودع البنادق، فغداً يستعملها شخص آخر. إن لم تطعم جيشك فسوف تطعم جيشاً آخر. قال نابليون. هذا هو حال وسائل الإعلام: إذا لم تهتموا بها، لم تطعموا الصحفيين وتوجهوا أعمالهم - سيفعل ذلك بكل سرور خصومكم ويوجهونها إلى الجهة التي يريدونها ناهيك عن أن الغرب حاذق للغاية في هذا الميدان.

---

[1] http://www.memo.ru/hr/hotpoints/osetia/old90. htm.

[2] لم يعرف من الذي كسرت يده من المراقبين الثلاثة. تحادث سيرغي ستوكالو شخصياً مع الضابط - المظلي ووصف هذا المشهد في كتابه: سخينفالي في النار.

«ليست الأمور كما تبدو من النظرة الأولى، تملك جنرال إلكتريك المجمع الإعلامي: "إن. بي. سي"، ويسني، إي بي سي، فياكوم، سي بي إس، أما "سي ن ن" فتدخل في مجمع "أول تايم وورتر" الضخم. غالبية صحفنا ومجلاتنا وإصدارتنا تعود لشركات عالمية عملاقة»[1].

هذا الاقتباس يعود إلى جون بيركينس، الذي كتب كتاباً رائعاً حول العمل السري للشركات الأمريكية، التي سعت لإعطاء الدول المستقلة أكثر ما يمكن من القروض. يعطونها بحيث تعجز عن الدفع. عندئذٍ تجد الدولة نفسها غارقة في الدين وتابعة للدائن. ماذا تعطي أمريكا كدين؟ ورقاً، أصفاراً كومبيوترية. إنها لا تساوي شيئاً بالنسبة للأمريكان. ماذا يجب أن تعطي البلدان التي أخذت الدولارات كقروض؟ خامات، التصويت في الأمم المتحدة، أراضي لتوضع القواعد استقلالها وروحها. في آب 2008 أعطت أمريكا قرضاً لجورجيا. يبدو ذلك عملاً نبيلاً: دولة كبرى تساعد دولة صغيرة منهكة. في واقع الحال لن تتمكن جورجيا من تسديد القرض فتغوص أعمق في شبكة العنكبوت الأمريكية. سيستمر شباب جورجيا بالموت في العراق وغيره من المناطق الملتهبة في صراع مع عدو لا وجود له، هو الإرهاب الدولي. متى احتاجت أمريكا سوف تهرق الدماء مجدداً في القفقاس.

كل القنوات التلفزيونية الكبرى والصحف ومحطات الإذاعة اشتراها المصرفيون ومنذ زمن طويل تنفذ رغباتهم. طبعاً المصرفيون - مالكو الاحتياطي الفيدرالي للسيطرة على الحقل الإعلامي لا يحتاجون لكل القنوات الإعلامية، تكفي الأساسية التي تشكل الأرضية الإعلامية. مهمة وسائل الإعلام - تشكيل الرأي العام. ويقوم الصحفيون بذلك بعضهم من أجل المال وبعضهم من منطلقات عقائدية، فكرية.

أكثر الأمثلة وضوحاً على الاحتكار المتقن لوعي الجمهور تتميز إذاعة "ايخو موسكفي" ("صدى موسكو"). إيديولوجيا هذه المحطة لا تختلف عن إيديولوجيا "العفو" أو "حقوق الإنسان": الغرب دائماً على حق. مع هذه الصلصة تقدم كل

[1] بيركينس واعترافات قاتل اقتصادي: M:Pretext. 2005.

الأنباء. وتحت هذا الهدف تقدم كل البرامج. وهاكم مثالاً صارخاً. توجد لدينا حركة تسمى "ناشي" ("معنا"). غايتها- تربية الشبيبة تربية وطنية. قضية هامة وضرورية وللأسف جديدة. كل ما تم إنجازه في هذا الاتجاه في الاتحاد السوفيتي نسي واستبعد. بدأت من صفحة بيضاء- من هنا تأتي الارتباكات والانعطافات. ولكن في العموم التوجه صحيح.

كيف تسمى "ايخو موسكفي" حركة "ناشي"؟

تسميها "ناشيستي" من كلمة فاشيستي.

إنهم يؤثرون في نظرتنا ببراعة. يمكن القول: أعضاء حركة "ناشي" أو "معنا" ببساطة. فالخيارات كثيرة واللغة الروسية غنية. أما الصحفيون المتعلمون التقدميون فيقولون "ناشيستي". يبدو أنهم لم يقولوا شيئاً رديئاً، ولكن الأثر بقي. ظهرت السلبية: كلمة "ناشيستي" شبيهة بكلمة "فاشيستي" وهذا يثير الامتعاض لدى أي مواطن روسي عادي. بينما ليس للحركة أية صلة بالفاشية. لا يضربون الغرباء ولا يقتلونهم، لا يعلقون الصليب المعقوف على بيوتهم، ولا يصرخون "هايل هتلر". لماذا إذن "ناشيستي" بالذات؟ لأن هذا مثال صارخ لتقنية الاحتكار. استخدام الكلمة يصبغ الحركة الشبابية بصبغة سلبية للغاية- إنه ليس مجرد مصادفة أو سعياً وراء الكلمات البراقة إنه احتكار واع لمشاعركم ورأيكم.

إليكم مثالاً معاكساً. هل سيغضب صحفيو "ايخو موسكفي" لو أن إحدى الصحف أو إحدى القنوات التلفزيونية بدأت تتفهم بشكل دائم "ايخوإساسيون" ("الوحدة الوقائية SS")؟ [1] أينما وجدت إيخوموسكفي وجدت إيخوإساسيون!. كيف كانت ردة فعلهم لو حصل؟ مفهوم أنهم سيغضبون أشد الغضب. بينما هم يستخدمون ذات اللعبة لتشكيل وجهة نظر معينة لدينا. يستخدمونها يوماً بعد يوم وبشكل مبدع جداً.

كونوا حذرين ومنتبهين. فالحرب الإعلامية لا تهدأ دقيقة واحدة وهي تُحترم، بالمناسبة، في رأسكم. اجتهدوا لتفهموا وتروا ولا تسمحوا باحتكاركم، مهما بدا هؤلاء المحتكرون نبلاء المظهر ومهذبين. انظروا إلى الجذر كما كان...

---

[1] نسبة إلى SS وهي منظمة تابعة للحزب النازي، وكانت مهمتها بداية تأمين الحماية الشخصية لأدولف هتلر. أصبحت في سنة 1939 وحدة شبه عسكرية تقوم بمهام أمنية فاشية.

يعيش "المدافعون عن الحقوق" معنا نحن السكان العاديون لروسيا، وكأننا في عالمين متوازيين. كل شيء عند هؤلاء "السادة" مختلف: القيم، العقيدة، فهم الواقع. للشعب أبطاله، لديهم- أبطال مغايرون. نتائج المشروع "اسم روسيا" - يؤكد أشد التوكيد على ما ذكر. «نهايات المشروع "اسم روسيا" لا يمكن تسميتها بغير المريحة. إنها مرعبة»[1]. - تكتب بوق "المناضلين من أجل الحرية" "الصحيفة المستقلة".

ما الذي اهتز؟ من اختار شعب روسيا؟

المكان الأول: الكساندر نيفسكي.

المكان الثاني: بيتر ستوليبين.

المكان الثالث: يوسف ستالين.

من وجهة نظري هذه نتيجة طبيعية تماماً. ثلاثة مسؤولي دولة، فكيف يعتقد ليبراليونا؟

"لا بوشكين. ولا ميندييف. أريد أن أكرر مرة أخرى: لا بوشكين ولا ميندييف. أو إذا محصنا جيداً. لا شيء إيجابي. لا شيء ولا أحد. من عمل لروسيا، من أجل روسيا لمجد روسيا".

إن بوشكين وميندييف - فخر بلادنا. ولكن عندما يلزم اختيار اسم واحد- يختار شعبنا من استطاع أن ينقذ البلاد من الموت في اللحظة الصعبة. فقد أنقذنا الكساندر نيفسكي من استبعاد الصليب الجرماني ومن تدمير الصليبيين. ستوليبين أوقف ثورة وبدأ إصلاحاً يتلافى ثورة ثانية، ولم يعقه من إكمال ما بدأ به إلا مقتله على يد قاتل. ستالين أنقذ البلاد من النازية. شخصيته معقدة جداً ومثيرة للجدل، إلا أن حقيقة النصر العظيم غير قابلة للجدل.

والشعب يذكر - يذكر الأمير المقدس، يذكر رئيس الوزراء المقتول، يذكر الأمين العام الصارم. أما بالنسبة "للمدافعين عن الحقوق" هذا كله صوت فارغ - "لا شيء ولا أحد، من عمل لروسيا، من أجل روسيا، لمجد روسيا". تقديم الصحيفة للمعلومات متميز للغاية، لا يلاحظ الصحفي الليبرالي وهو يصف نتائج

[1] http://www.ng.ru/politics/2008-12-29/2-rusname.html.

obeikandl.com

مسابقة "اسم روسيا". يقول الحقيقة غير كاملة. القضية تكمن في وجود بوشكين وميندلييف في الأماكن الاثني عشر الأولى، اللذين حزنت الصحيفة الليبرالية لغيابهما. وهناك دستويفسكي أيضاً[1].

مرة أخرى كان الشعب مخطئاً برأي ليبراليينا، وزعموا أن ذلك حدث أكثر من مرة في تاريخنا. يحالف سوء الطالع بشكل مزمن المناضلين الروس من أجل الحرية في علاقتهم مع الشعب. فالشعب خيب آمالهم دائماً. في البداية، لم يطع المواطنون الروس البسطاء غيرتسين. ثم سلموا متطوعي الشعب والمثقفين للبوليس. ثم حطموا رؤوس المقاتلين في 1905، بعد 1917 أثاروا غضب لينين. قاموا بتمردات متتالية للفلاحين. ثم لم يريدوا أن يذهبوا إلى الكولخوزات. بعد انهيار الاتحاد السوفييتي كذلك خيب الشعب آمال الإصلاحيين الصغار. في النهاية في كل الانتخابات البرلمانية لم يصوت هذا الشعب "الغبي" و"الجاهل" لصالح "يابلوكو" و"إس بي إس" التقدميين الرائعين. مرة أخرى في الانتخابات الرئاسية والبرلمانية لم يختاروا الشخص المناسب. كل شيء يبدو على ما يرام. ولكن لم يحالفنا الحظ مع الشعب.

لا يجوز أن نزيد الأوهام. حرية الكلمة، حقوق الإنسان، الإعلام الحر- إنها أسلحة في صراع خفي، يجري باستمرار من أجل الهيمنة على العالم. ولعالمنا بنية مالية. سواء كان ذلك جيداً أم رديئاً - لكن الأمر على هذا النحو. المهم اليوم - النقود. يقاس بها كل شيء: قوة الدولة، صحة الإيديولوجيا، درجة النجاح وأهمية البشر والقارات.

النظام الاحتياطي الفيدرالي. "الآلة الطابعة" سابقاً شنت الحروب من أجل امتلاك الأراضي والموارد. المهم الآن - من سيطبع النقود. وكل ما سواها يمكن شراؤه ببساطة: صحفيون، ثروات باطنية، نشطاء سياسيون، الأراضي. في البداية يمكن شراء ما يباع. وبعد ذلك محاولة شراء ما يقاوم.

حان الآن وقت الحديث عن الأزمة الحالية.

---

[1] دخل في مجموعة الاثني عشر شخصاً من التاريخ الروسي عدا من ذكرنا أعلاه: بطرس الأول، كاترين الثانية، ألكساندر الثاني، إيفان غروزني، لينين، سوفوروف (مجلة كونسرفاتور 2009، 10 شباط، العدد 13).